

روح المعاني

ما آتاه الله تعالى وعلى امتناع هؤلاء أن يصل منهم شيء من الخير إليه فهي قد جاءت مبينة للباين ما بينه وبينهم من حرصه على نفعهم وعدم إيصال شيء من الخير منهم إليه . فالارتباط بين الآية وبين مجموع الآيات السابقة من حيث أنها تشعر بحرصه على هدايتهم ولعمري إن هذا مما يباه الذوق السليم والذهن المستقيم .

ويحتمل أن يكون وجه الارتباط اشتمالها على ذمهم بالشح المفرط كما أن ما قبلها مشتمل على ذمهم بالكفر كذلك وهما صفتان سيئتان ضرر إحداهما قاصر وضرر الأخرى متعدد فتأمل فلمسك الذهن اتساع والله تعالى أعلم بمراده ولما حكى سبحانه عن قريش ما حكى من التعنت والعناد مع رسوله سلاه تعالى جده بما جرى لموسى عليه السلام مع فرعون وما صنع سبحانه بفرعون وقومه فقال عز قائلًا : ولقد آتينا موسى تسعة آيات بينت طاهر السياق والنظائر يقتضيان كون المعنى تسع أدلة وواضحات الدلالة على نبوة موسى عليه السلام وصحة ما جاء به من عند الله تعالى ولا ينافيه أنه قد أوتي من ذلك ما هو أكثر مما ذكر لأن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد كما حقق في الأصول وإلى هذا ذهب غير واحد إلا أنه اختلف في تعيين هذه التسع ففي بعض التفاسير هي كما في التوراة العصا ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهائم ثم برد كنار أنزل مع نار مضطربة أهلك ما مرت به من نبات وحيوان ثم جراد ثم ظلمة ثم موت عم كبار الآدميين وجميع الحيوانات وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين ونقص من الثمرات وروى ذلك عن مجاهد والشعبي وقتادة وعكرمة .

وتعقب هذا بأن السنين والنقص من الثمرات آية واحدة كما روي عن الحسن . ورد بأنه ليس بالحسن إذ ظاهر قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات يقتضي المغايرة فيحمل الأول على الجذب في بواديهم والثاني على النقصان في مزارعهم أو على نحو ذلك وقد تقدم الكلام فيه فلا ضير في عدهما آيتين وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في رواية أخرى عن الحبر أنها يده عليه السلام ولسانه وعصاه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وفي الكشف عنه رضي الله تعالى عنه أنها العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه الله تعالى على بني إسرائيل وتعقبه في الكشف بقوله فيه : إن الحجر والطور ليسا من الآيات المذهوب بها إلى فرعون وقال تعالى : في تسع آيات إلى فرعون وقومه وذكر سبحانه في هذه السورة لقد علمت

ما أنزل هؤلاء والإشارة إلى الآيات ثم قال : والجواب جاز أن يكون التسع البيئات بعضها منها غير البعض من تلك التسع وليس في هذه الآية أن الكل لفرعون وقومه وأما الإشارة فإلى البعض بالضرورة لأن الكل إنما حصلت على التدريج وفلق البحر لم يكن في معرض التحدي بل عندما حق الهلاك اه ولا يخلو عن ارتكاب خلاف الظاهر وما روي عن ابن عباس أولا لائح الوجه ما فيه أشكال ونسبه في الكشف إلى الحسن وهو خلاف ما وجدناه في الكتب التي يعول عليها في أمثال ذلك وروي أن عمر بن عبد العزيز عليه الرحمة سأل محمد بن كعب عن هذه الآيات فعد ما وعد وذكر فيه الطمس فقال عمر : كيف يكون الفقيه إلا هكذا ثم قال :